

أثر القرآن الكريم في شعر عبدالله بن رواحة الأنصاري رضى الله عنه

Influence of the Holy Quran upon the poetry of Abdullah bin Rawaha Al Ansari RA (رضى الله عنه)

*الدكتور مفتى محمد سليم

**الدكتور محمد حماد



ABSTRACT

The article Thinking and was beginner and elevator of Arabic Poetry. He highlighted great civilization of Arabs. The Impact of the Holy Quran in Arabic language, This modern movement of Arabic literature is zeal and zest in the period of Companians (رضى الله عنهم). This Article "The Impact of Holy Quran in the Poetry of Abdullah Bin Rawaha (رضى الله عنه)" reveals a profound academic and research study of Abdullah Bin Rawaha's (رضى الله عنه) poetry. Abdullah was a leader of poets in that period. The main of the study is the words and verses of the Holy Quran used by Abdullah Bin Rawaha (رضى الله عنه) in his poetry. Abdullah has presented before us a very fine interpretations and true meanings of the Quranic words. Similarly through his poetry he has presented before us the Quranic verses and passages in an effective way. So we may describe his poetry as an interpretation of the Holy Quran.

Key Words: poetry of Abdullah bin Rawaha, Influence of the Holy Quran

إن من أثر القرآن في اللغة العربية. جعلها لسان الدولة الإسلامية، ويرجع للقرآن الفضل في نشر اللغة العربية وتوسيع نفوذها. ولو لالبت اللغة محبوسة في الجزيرة، لا تتسلط على الأمة، إن القرآن هو الذي أخرج العرب فعلاً، وشق لهم المجد ومهد للغة سبيل السؤد. لقد أضاف القرآن الكريم نموذجاً للتعبير بالعربية لم تعرفه العربية من قبل، نموذجاً له الخلود والبقاء لا تمسه يد التغيير والتحريف، لقد كانت العربية قبل نزول القرآن تُصنّف إلى شعر ونثر. فلما نزل القرآن صارت نماذج التعبير اللغوي في العربية ثلاثة: قرآن، وشعر، ونثر. وكذا قد كا للقرآن الكريم أثر كبير و خطير في نشؤ عدة علوم وفنون لم تكن موجودة من قبل ذلك أن حرص المسلمين على صيانة كتابهم المجيد من اللحن والتحريف اضطرتهم و دفعهم لاختراع و إيجاد علوم مختلفة كالنحو والصرف والاشتقاق والبيان والبدیع والمعاني من علوم البلاغة، إضافة إلى العلوم الأخرى المرتبطة به من قريب أو بعد كعلم الشريعة والاجتماع والأخلاق والتاريخ والقصص والحكم والتفسير والفقہ. وهكذا أثر القرآن الكريم في الشعر والصحابة الشعراء بأخذون أسلوب القرآن الكريم وألفاظ القرآن لبيان مفهومهم في الشعر والذي موضوعنا هو شعر عبدالله بن رواحة رضى الله عنه، الذى ظهر في شعره أثر القرآن الكريم.

* مسؤول البحث، قسم اللغة العربية، جامعة الكلية الحكومية، فيصل آباد-

** استاذ المساعد، قسم علوم الاسلامية، جامعة بمالبور، بمالور نجر-

عبدالله بن رواحة الأنصاري¹ شاعر إسلامي من شعراء عصر صدر الإسلام المعروفين. ممن كان لهم شرف الذود عن الرسالة.

وهو خال النعمان بن بشير . . . وصاحب المناقب المذكورة في الإسلام والأيام المشهورة.² قال عنه ابن سلام (231هـ): ”عظيم القدر في قومه، سيد في الجاهلية، ليس في طبقتة التي ذكرنا أسود منه.“³

وقال عنه الأمدى (هـ): ”شاعر محسن وفارس.“⁴

أما شهرة عبدالله الشعرية التي اكتسبها في ظل الإسلام، فإن جذورها تتصل بالمرحلة التي سبقت إسلامه، والتي كان يحتل فيها مرقعاً متقدماً بين شعراء الخزرج، لكونه أحد شعرائهم المعدودين، ووسيلتهم الإعلامية في أيامهم المستمرة مع الأوس. وقد تأكد حقيقة دوره، في تصديته ومناقضته لشاعر الأوس، قيس بن الخطيم.

والذي يقرأ شعر عبدالله في المرحلة التي سبقت إسلامه - رغم قلة الذي وصل إلينا منه - يجد أن ذلك الشعر ”كله من النقااض، ذلك النوع من الشعر الذي كان مزدهراً في بيئته قبل الإسلام، بحكم الصراع العنيف الدامي بين الأوس والخزرج. وقد نظم ابن رواحة ذلك الشعر في جملة ردأ على قيس بن الخطيم الأوسي الجاهلي.“⁵

وإذا كان عبدالله بن رواحة لم يكن موفور الحظ بضياع نسبة غير قليلة من شعره الذي قاله قبل الإسلام. فإن سبقه في الإسلام، وصدق عقيدته كانا كفيلين بإعلاء شأنه واحتلاله مكانة مرموقة في تاريخ الإسلام. خلّده شاعراً متقدماً من شعراء عصر صدر الرسالة، ورمزاً كبيراً من رموز التضحية من اجل المبدأ.

فقد أجمعت المصادر - التي بين أيدينا - على فضل سابقته في الإسلام، وعلى تأكيد كونه من أوائل الأنصار، وأنه أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة.⁶

ولا شك أن استجابة عبدالله السريعة لدعوة الرسول الكريم وما رافقها من إيمان راسخ بمبادئ الرسالة، كان له أبلغ الأثر في تكوينه وإعداده لمشاركة الرسول ﷺ في معظم غزواته، وشهوده جميع مشاهدته. في ”بدر و أحد والخندق والحديبية وخيبر وعمر القضاء . . . واستخلفه رسول الله على المدينة حين خرج إلى غزوة بدر الموعد، وبعثه رسول ﷺ سرية في ثلاثين راكباً إلى أسير بن رازم اليهودي بخيبر فقتله، وبعثه رسول الله ﷺ إلى خيبر خارصاً.“⁷

وقد أبلى عبدالله في جميع تلك الغزوات بلاءً محموداً. حتى قال عنه ابن سعد: ”عبدالله بن رواحة في الطبقة الأولى من أهل بدر.“⁸

ومما لا ريب فيه أن هذه المهام التي قام بها عبدالله بن رواحة والمسؤوليات التي تحمّلها بلسانه وسيفه لم تكن مجرد استجابة آنية، بل إنها تكشف عن عقيدة صادق.

فقد كان راوية للحديث النبوي الشريف، روى عنه ابن عباس وأنس وأسامة رضوان الله عليهم.⁹ ولم يكتف برواية الحديث الشريف فحسب، بل كان وثيق الصلة بمجالس الإيمان، دائم التردد عليها. لينهل من بحر الإسلام المتدفق ويتفقه في علومه المباركة.

ومما يروي عنه ما ذكره أبو الدرداء - حين قال: ”أعوذ بالله أن يأتي عليّ يوم، لا أذكر فيه عبدالله بن رواحة، كان إذا لقيتني مقبلاً ضرب بين ثديي وإذا لقيتني مدبراً ضرب كتفي، ثم يقول يا عويمر! اجلس فلنؤمن ساعة فنجلس، فنذكر الله ما شاء، ثم يقول: يا عويمر! هذه مجالس الإيمان.“¹⁰

وقد أكد الرسول ﷺ ذلك النهج في عقيدته. فقد روي عنه ﷺ أنه قال: ”رحم الله عبدالله بن رواحة إنه يحب المجالس التي تباهى بها الملائكة.“¹¹

ومما يروي عن عبدالله أيضاً: ”أن رجلاً تزوج امرأة عبدالله بن رواحة فسألها عن صنيعه. فقالت: كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين وإذا دخل بيته صلى ركعتين لا يدع ذلك.“¹²

ويحدثنا أبو الدرداء عنه فيقول: ”لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الحارّ الشديد، حتى أن الرجل ليضع من شدة الحرّ يده على رأسه، وما في القوم صائم إلا رسول الله ﷺ و عبدالله بن رواحة رضى الله عنه.“¹³

فكان طبيعياً أن ينعكس تأثير ذلك في نفس عبدالله المؤمنة، وأن يتجسد فيها سلوكاً متميزاً وممارسة فعالة من خلال المعارك التي شارك فيها والأشعار التي أنشدها فيها لتحفيز المجاهدين وشحنهم.

فكان عبدالله أول الخارجين إلى الغزو وآخر القافلين منه، وكان من الشعراء الذين ناضلوا عن رسول الله ﷺ.¹⁴

لأن النور الذي غمر نفس عبدالله، ونور بصيرته جعله حريصاً غاية الحرص على تقديس الرسالة، وإجلال من حملها أمانة للإنسانية. فالتزم مبادئها، وتفانى في تنفيذ أوامر باعنتها، وتقيّد باحترام من بعث بها. وهي آداب تدلّ على سلامة الإيمان، وصدق المعتقد.

فقد روي: أن عبدالله بن رواحة أتى النبي ﷺ وهو يخضب، فسمعه يقول: اجلسوا. فجلس مكانه خارجاً من المسجد حتى فرغ النبي ﷺ من خطبته، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال له: ”زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله.“¹⁵

إن هذا الالتزام الدقيق بإطاعة أوامر الرسول ﷺ لا يشكل تكلفاً في سلوكه مطلقاً، لأن عبدالله قد وجد في دعوة الإسلام ما يطفى ظمأه الروحي و يأخذ بيده نحو شاطئ الإيمان. ولهذا لم يجد عبدالله أشرف وأنبأ من خدمة الرسالة ومصاحبة الرسول الكرم. ففي فتح مكة كان عبدالله في المقدمة يمسك بزمام راحلة الرسول ﷺ يوم دخلها، وهو يترجم أمامه بأبيات يقول فيها:

خلو بنى الكفار عن سبيله	خلو فكل الخير في رسوله
يا رب انى مؤمن بقبيله	أعرف حق الله فى قبوله
نحن قتلناكم على تأويله	كما قتلناكم على تنزيله ¹⁶

وكون ابن رواحة يأخذ بخطام ناقه الرسول ﷺ، ”ذلك دليل على منزلته عنده، وكونه يرفع صوته بهذا الرجز، الذي كله هجوم على المشركين الذين كانوا أقوياء الشوكة وقتند، في عقر دارهم في مكة التي لم تكن بعد قد فتحت ذلك دليل على إيمان ابن رواحة العميق، وتغلغل روح الفداء والتضحية فيه.“¹⁷

وقد أعظم الرسول ﷺ بعبدالله هذه المناقب، وبارك فيه هذا الخلق الإسلامى الرفيع. يؤيد ذلك ما أخرجه ابن عساکر عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ”نعم الرجل عبدالله بن رواحة.“¹⁸ وأخرج ابن عمر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ”رحم الله بن رواحة، كان أينما أدركته الصلاة أناخ.“¹⁹

وقد حظي عبدالله بمكانة رفيعة عند الرسول ﷺ. ففي بدر اختاره الرسول ﷺ ليحمل نبأ البشرى بالنصر إلى أهالي العالية. ”فبعثه إلى أهل العالية، بما فتح الله عزوجل على رسوله ﷺ وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة.“²⁰

وكان الرسول ﷺ حريصاً على متابعة أخباره ، والاطمئنان على أحواله ففي مرضته زاره بنفسه ليطمئن على صحته ، وشمله بدعوته الكريمة بالتخفيف عنه فعندما ”مرض عبدالله بن رواحة وأغمي عليه. عادته النبي ﷺ ، فقال : اللهم إن كان أجله قد حضر فيستره عليه ، وإن لم يكن حضر أجله. فاشفه فوجد خفة.“²¹

وقد توج الرسول ﷺ اهتمامه بعبدالله بتأميمه على الجيش المتوجه إلى مؤتة. وكان الرسول ﷺ قد وجّه جيشاً إلى مؤتة وأمر عليهم مولاة زيد بن حارثة الكلبي ، قال: إن أصيب زيد فالأمير جعفر بن أبي طالب وإن أصيب جعفر بن أبي طالب ، فالأمير عبدالله بن رواحة.²² وخرج الرسول ﷺ والناس يشيرون الجيش ، ويودعون أمراء ه ، متمنين لهم عوداً حميداً ونصراً أكيداً. ولكن عبدالله لم يكتف مشاعر الإيمان في نفسه ، ففاضت مآقيه شوقاً لم ينتظره. وعند ما سئل عن الذي يبكيه أجاب : ”أما والله ما بي حُبُّ الدنيا ولا صباية بكم ؛ ولكي سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عزوجل ، يذكر فيها النار ” وَإِنْ مَنَكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رِجْلِكَ حَتْمٌ مَّقْضِيًّا“²³ فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود.“²⁴

فبعبدالله لا يتطلع إلى الأوبة صالحاً ، لأنه كان يرنو إلى مرتبة تخلّده وتقربه من الله درجة. فهو يسأل الرحمن المغفرة التي يشفع في سبيلها السؤال بالعمل. ثم أية عمل أكرم من أن يُقتل شهيداً...؟ فيتمنى الوسيلة القاتلة التي ترفعه إلى تلك الدرجة ، ويجدها بضربة قاتلة من يد كافر لا يرحم أ طعنة مجهزة بحربة تقذف الأحشاء مندلقة ، فيقول:

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضْرَبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا
أَوْ طَعْنَةً يَبْدِي حَرَآنَ مُجَهَّرَةً بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرَّوَا عَلَىٰ جَدَثِي أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا²⁵

في هذه الأبيات نجد أثر آيت سورة آل عمران 3 / ١٩٥ ” فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ“ في ذلك بشارة المغفرة من الله للمجاهد غازيا أو كان شهيدا فبعبدالله استدعا المغفرة من الله في الأشعار المتقدمة.

ثم التفّت إلى الجند قائلاً : ” يا قوم! والله إن الذي تكروهون للذي خرجت تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلّا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحسينيين إما ظهور ، وإما شهادة.“²⁶

والشهادة بالنسبة لعبدالله أنية غالية طالما تمنّاها. فلا نستغرب حينما نجده يطلبها بإصرار ، لأنه كان مثالياً في إيمانه . ” فلم يكن يقنعه إلا أن ينال أعلى الدرجات التي يمكن لمؤمن من اتباع محمد ﷺ أن ينالها وليس هناك درجة أعلى من الشهادة يمكن أن تنال لشخص مثله. لذلك سعى إليها هذا المؤمن الطموح ، وحرص عليها ودعا الله عزوجل مخلصاً أن يهبها له.“²⁷

وكانت مؤتة هي الوسيلة إليها ، فمؤتة في حياة عبدالله فرصة لا تفوت طالما انتظرها ، وعلّق عليها الآمال . وها هي الآن أمامه تفتح له ذراعيها وتدعوه بصدد لتحقيق رغبته في مصاحبة الخالدية في عليائه.

فيضرع عبدالله سائلاً الله عزوجل أن يمنحه هذا الشرف. ويحدثنا غلامه زيد بن أرقم الذي رافقه إلى مؤتة عن حالة عبدالله ومشاعره وهو في طريقه إليها فيقول : ” كنت في حجر عبدالله بن رواحة فلم أر والي بيتيم كان خيراً منه خرجت معه في وجهه إلى مؤتة ، وصبّ بي وصببت به فكان يردني خلف رحله فقال ذات ليلة وهو على راحلته بين شعبي الرحل ، وهو يتمثل أبيات شعر. وفيها أيضا هو يسئل الشهادة وهي وسيلة المغفرة:

إذا بلغتني وحملت رحلي
مسافة أربع بعد الحساء²⁸
فزادك انعم وخالك ذم
ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وأب المسلمون وغادروني
بأرض الشام مُشْتَهِي التَّوَاءِ²⁹
هُنَالِكَ لَا أَبَاي طَلَع نَخْلٍ
وَلَا نَخْلٍ أَسَافُلُهَا رِوَاءِ

فلما سمعت هذه الأبيات بكيت ، فحففتني بيده ، وقال: ما يضررك يا كُعب أن يرزقني الله الشهادة . . . ثم قال يا غلام ! فقلت : لبيك ! قال: هي إن شاء الله الشهادة.³⁰ وهكذا فقد بلغت نفس ابن رواحة من الرقة والشفافية والإخلاص في حبِّ الله لدرجة الثقة والاطمئنان إلى أن الله عزَّوجل قد استجاب دعاء ها.³¹

وها هو عبدالله ينهض ملقياً ما بيده بعد أن أتاه ابن عمِّ له بعرق³² من لحم فقال شدَّ بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتهش³³ منه نهشة ، ثم سمع الحطمة³⁴ في ناحية الناس ، فقال و أنت في الدنيا (ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدَّم ، فقاتل حتى قتل وهو يرتجز بأبيات منها:

يا نفس ألا تقتلي تموتي
هَذَا جِمامِ الموتِ قد صليت
و ما تمنيت فقد أعطيت
إن تفعلني فعلهما هديت³⁵

ويروي مصعب بن شيبة مشاعر عبدالله ساعة توديعه الدنيا ، فيقول : ”لما نزل ابن رواحة للقتال طعن ، فاستقبل الدم بيده فذلك به وجهه ثم صرع بين الصَّفين فجعل يقول : يا معشر المسلمين ، ضُبُّوا عن لحم أخيكم. فجعل المسلمون يحملون حتى يحوزوه ، فلم يزالوا كذلك حتى مات مكانه.“³⁶ ويحدثنا عبدالله بن رواحة عن جانب من قدرته الشعرية فيقول : ”مررت بمسجد رسول الله ﷺ وهو في نفر من أصحابه ، فأضب³⁷ القومُ : يا عبدالله بن رواحة! يا عبدالله بن رواحة! فعرفت أن رسول الله ﷺ دعاني فانطلقت إليهم مسرعاً ، فسلمت ، فقال: ههنا ، فجلست بين يديه فقال: كأنه يتعجب من شعري: كيف تقول الشعر إذا قلت : قلت : أنظر في ذلك ثم أقول ، قال: فعليك بالمشركين. قال: فلم أكن اعددت شيئاً ، فأنشدته.“³⁸

ولا شك أن سرعة الاستجابة لمثل هذه المواقف التي تتطلبها ظروف الرسالة تفصح عن موهبة فائقة في التأثير السريع بالحديث وتسجيله ، ومن ثم القدرة على تغيير صورته حسب مقتضيا الحالة. ” وأخرج الزبير بن بكار في الموفقيات ، عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ما سمعت بأحد أجراً ولا أسرع من عبدالله بن رواحة ، يوم يقول له رسول الله ﷺ: قل شعراً تقتضيه الساعة ، وأنا أنظر إليك ، ثم أبدّه بصره ، فانبعث عبدالله يقول :

إني تفرست فيك الخير أعرفه
والله يعلم ما إن خانني بصر³⁹

وروي أن النبي ﷺ قال لعبدالله بن رواحة : ما الشعر؟ قال شيء - يختلج في صدر الرجل فيخرجه على لسانه شعراً ، قال: فهل تستطيع أن تقول شيئاً الآن؟ فنظر في وجه رسول الله فقال: نعم ، وأنشدته في الحال.⁴⁰

ولعل ما يؤكد هذا الجانب في شاعريته ، هو كثرة الأبيات التي نظمها في بحر الرجز قياساً إلى مجموع شعره. فقد بلغ عدد أبيات الرجز عنده سبعة و ثلاثين بيتاً من مجموع مائة وسبعة عشر بيتاً إسلامياً. والرجز كما نعلم هو في أغلب الأحيان وليد ساعته ، ونتاج مناسبه الطارئة. واتجاه عبدالله إلى الرجز بهذا الشكل يمكن أن يساعدنا في تأكيد قدرته على سرعة الاستجابة في النظم.

وإذا كانت قدرة عبدالله على الاستجابة السريعة للحدث هي إحدى الجوانب التي أهلته ليكون من طراز الشعراء البارزين في هذا العصر. فإن موهبته الشعرية شكّلت الجانب الآخر من شاعريته التي رفعتة إلى هذه المكانة وبشهادة الرسول الكريم. ”فقد أخرج ابن عساكر عن هشام بن حسان قال:

قال عبدالله بن رواحة للنبي ﷺ:

فنبّت الله ما أتاك من حسن كالمرسلين و نصرا كالذي نصروا

وكانه في ذلك البيت بيان هذه الآية ”أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ

لَقَدِيرٌ“ (الحج ٢٢ : ٣٩) فقال له النبي ﷺ وإياك يا سيد الشعراء. 41

وكان الرسول يمد في شعره ما يغبط قريشاً ويؤلمها. فيروى عنه ﷺ أنه قال : ” فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدّ عليهم من وقع النبل.“ 42

وقال عنه ابن عبد البر (٤٦٣هـ): ” واحد من الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول

الله ﷺ. “ 43

ومما قيل في بيان شاعريته أيضاً : ” أنه أحد الشعراء المفلقين المحسنين الذين كانوا يذوبون عن رسول

الله ﷺ. “ 44

ومما لا ريب فيه أن هذه الجوانب التي هذه الجوانب التي اجتمعت في عبدالله الشاعر قد توجهها جميعاً بإسلامه المبكر فذخول شعره منذه الوهلة التي أسلم فيها إلى سهام مشرعة بوجه من حاول النيل من الرسالة.

ولهذا فقد كان ”شعر عبدالله رضى الله عنه، بعد بيعة العقبة إسلامي بكل ما تتحمل هذه اللفظة من معان.“ 45 ومن ثم فقد جاء شعره بعد هذه المرحلة من حياة زاخراً بروح الإيمان ، وبجوهر العقيدة الصادقة. فكان هذا الشعر بجملته قد ارتبط بالأعمال الكبيرة التي قام بها المسلمون ، وكان لعبدالله دور بارز فيها. ولكن الذي يلاحظ على شعره هذا أنه قليل – رغم كونه من شعراء الرسالة البارزين.

أما مسألة تأتم عبدالله من قول الشعر بعد أن أسلم والتي دعمها الدكتور الجبوري برواية ابن سعد. فذلك احتمال ضعيف ، لأن عبدالله إن تأتم من قول الشعر ، فإنما يتأتم من قول الشعر الذي حث الإسلام على تركه لأن فيه ما يتعارض مع مبادئه الكريمة. فضلاً عن أن قول الرسول ﷺ لعبدالله ” إنزل فحرك بنا الركاب“ لعله أراد به ذلك الشعر الذي يحقق الجانب العاطفي. ويشير المشاعر لتأنس به الإبل ، ويزداد نشاطها – والذي كانت مظاهره معروفة ومتبعة قبل الإسلام ولكنه لم يعد منسجماً مع ما يدعو إليه الإسلام من قيم ومبادئ. ولهذا كان جواب عبدالله واضحاً ” إني قد تركت قولي ذلك“ 46 والذي يفهم منه هو الأساليب الشعرية التي اتبعها واعتاد عليها قبل الإسلام.

ولا يمكن أن نتصور مطلقاً أن يتأتم عبدالله من قول الشعر المناصر للرسالة والملتزم بمبادئها. وقد دل عبدالله على ذلك حين أنشد في هذه المناسبة نفسها أبياتاً أكد بها عقيدته ضمنها معنى الهداية ، والتصديق والصلاة والدعوة إلى الثبات عند مواجهة الكفار. 47

ولكن الذي يبدو أن السبب الرئيسي في قلة ما وصل إلينا من شعر عبدالله هو قصر الفتر الزمنية التي عاشها في كنف الإسلام ، على خلاف صاحبيه حسان وكعب اللذين امتدّ بهما العمر إلى فترة متأخرة. في حين استشهد عبدالله في مؤتة (8هـ) وهو في قمة عطائه الشعري. ومن يتابع الأشعار التي قالها منذ يحركه إلى مؤتة وحتى استشهاده يشعر بذلك. كما أننا لا نذكر ضياع قسم من شعره مع ما ضاع من مجموع شعرنا العربي لهذا السبب أو ذاك.

وعبدالله الذي أسلم فحسن إسلامه. كان تأثير الإسلام في شعره كبيراً. وقد رأينا من قبل موظبة على حضور مجالس الإيمان ، ومدى ما كان يطيله من التفكير والتدبر في فهم واستيعاب مبادئ الرسالة الكريمة. فكان طبيعياً أن يتخذ القرآن الكريم معيناً ونبعاً يستمد منه الأفكار والمعاني والألفاظ ولهذا فقد جاء شعره حافلاً بألفاظ متعددة اقتبسها من القرآن ومنها (الرحمن) 48، والهادي 49، والمليك 50، والملائكة 51، والرسول 52، والنبي 53، والإسلام 54، والمسلمون 55، والكتاب 56، والسور 57، والآيات 58، والمؤمن 59، والصلاة 60، والرحمة 61، والجهاد 62، والثواب 63، والسكينة 64، والجنان 65، والنعيم 66، والغازي 67، والكفار 68، والكافرين 69، والمشركين 70، والنار. 71

ولم يقتصر تأثير القرآن الكريم في شعر عبدالله بن رواحة على الألفاظ الإسلامية فحسب بل إن قسماً من شعره جاء معبراً عن فهمه العميق لآيات القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله:

يا نفسُ أَلَا تُفْتَلِي تَمَوِّي 72

أخذه من قوله تعالى: ” كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَاللَّيْنَا تُرْجَعُونَ“ 73

وقوله:

رحمَ الله نافع بن بُديل رحمة المبتغي ثواب الجهاد 74

استمده من قوله تعالى: ” وَ لَيْنَ قُتِلْتُمْ فَمَنْ سَبَّيْلَ اللَّهِ أَوْ نُسْتَمْتُمْ كَمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ

وَ رَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ“ 75

وقوله:

وقد علمتم بأننا ليس غالبنا حيّ من النَّاسِ إن عَزَّوْا وإن كَثُرُوا 76

استوحاه من قوله تعالى: ” إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ“ 77

وقوله:

وأعلم علماً ليس بالظنّ أني إلى الله محشور هناك وراجع 78

استفاه من قوله تعالى: ” وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ“ 79

وقوله:

شهدتُ بأنّ وعد الله حقّ وأنّ النارَ مثنوى الكافرينا 80

أخذه من قوله تعالى: ” قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا“ 81

ولعل ما يؤكد فهم عبدالله العميق لآيات القرآن الكريم ، واستلهامه لمضامينها ما ذكره ابن عساکر : ” فقد كان لان رواحة جارية يستترها سراً عن أهله ، فبصرت به امرأته يوماً قد خلا بها ، فقالت: لقد اخترت أمتك على حرّتك؟ . . . ثم قالت : فإن كنت صادقاً فاقراً آية من القرآن ، فقال:

شهدتُ بأنّ وعد الله حقّ وأنّ النارَ مثنوى الكافرينا

فقلت: زدي في آية أخرى. فقال:

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وفوق العرش ربّ العالمينا

وفى هذه معنى قوله تعالى: ”وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا“⁸²

وقوله:

وَتَحْمَلُهُ مَلَائِكَةُ كِرَامٍ وَمَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُقَرَّبِينَ⁸³

وفيه مفهوم قوله تعالى: ”لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَا الْمَلَكَةُ الْمُقَرَّبُونَ“⁸⁴

إنّ هذا الفهم العميق لمبادئ الرسالة ، وما حملته من مضامين قد ترك أثراً واضح المعالم في شعر ابن رواحة ، وفي تحديد سماته الشعرية.

وقد حاول عبدالله أن يستخدم هذه المسألة ويستعين بها في قصائده لتعزيز شرعية الرسالة وبيان حقيقتها ، ومن ثم التأكيد على قيمة المبادئ التي تحملها والتي يشكل التوحيد المحور الأساس الذي قامت عليه. فكانت أشعار عبدالله في هذا الجانب تنبضُ بروح الإيمان ، وتزخر بالدليل والبرهان والتي يحتويها جميعاً أسلوب شعري. غايته من ذلك كله تسفيه كل من افترى على الله الكذب ، وحاول تعطيل رسالته.

ويطالعنا عبدالله في شعره كما عهدناه - واثقا كل الثقة من صدق عقيدته وصلابة إيمانه المدعم بالحجج والأدلة التي تثبت زيف ادعاء المشركين وتوضح حقيقة طعونهم المفتراة.

ولهذا فهو يؤكد أنّ من يتخذ غير الله إلهاً ، فهو محكوم عليه بالشقاء ومكتوب عليه الذلة والمسكنة:

باسم الإله و به بدينا ولو عبدنا غيره شقيناً⁸⁵

وما دام الإسلام هو دين الله الذي أنزله رحمة للعالمين. فالإيمان به واجب والشهود به حق. ومن

يكفر به فمثواه النار يُصلى فيها.⁸⁶

ويندهش عبدالله لعدم إسلام المشركين طالما أن الإسلام حق و آياته واضحة؟ وحتى لو لم تكن فيه

آيات واضحة الدلالة فإن بداهته تنبيك بحقيقته ، وفي ذلك يقول:

لوم لم تكن فيه آيات مبيّنة كانت بداهته تنبيك بالخبر⁸⁷

والرسول ﷺ مصدق بكل ما جاء به . وطاعته من طاعة الله تعالى ، ولهذا فإن إيمانه وإقراره

بالرسول ﷺ لم يعد سراً يخالج نفسه ، بل تحوّل إلى أنشودة لم يستطع كتمان أنغامها في قلبه فارسلها قائلاً :

يا ربّ إني مؤمن بقبيله

أعرف حق الله في قبوله

إني شهيدٌ أنه رسوله⁸⁸

وفى ذلك أخذ عبدالله على قوله تعالى: ”مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ“⁸⁹

ولماذا الكتمان طالما أن الرسول صادق يقوله ، وفي ذلك يقول:

إني تفرست فيك الحيرَ أعرفه فإسرة خالفتهم في الذي نظروا⁹⁰

وعبدالله لا يغفل الإشارة إلى فضل الرسول ﷺ على العالمين . فهو الذي فتح أذهانهم و نور

بصائرهم إلى الحقّ بما كان يقرأ ه عليهم من كتاب الله. وهو الذي أخذ بأيديهم إلى الهدى بعد أن كانوا

ضلالاً. سلاحاً في ذلك الإيمان واثقة بالصر ، وزاده الصبر على ما يواجهه فهو لا يعرف للنوم طعماً لأنه دائم التهجد مشغول بالقرآن وآياته في حين يغطّ رموز الشرك في مضاجعهم ، وفي ذلك يقول:

وفينا رسول الله يتلو كتابه
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
اذنشق معروف من الصبح ساطع
به موقنات أنّ ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه
اذا استثقلت بالمشركين المضاجع⁹¹

وفيها أخذ من قوله تعالى:

ويندم مقوم لم يطيعوا حمداً
على أمرهم وأبى حين تندّم

وعبدالله الذي وجد في الإسلام السبيل الذي أعاد للحياة وضعها الطبيعي ، وصورتها المشرقة. فأبصر به الإنسان سبب وجوده ، وفهم معنى حياته . كان يتألم و يتحسر وهو يرى صدور قريش ومن آزرها عن الرسول ﷺ ونفورهم عن الرسالة وهي تحمل لهم الخير والمحبة والتسامح. لهذا أراد أن يوجه لقريش ومن وقف خلفها ما يثيرها ، ويوقظها من رقدتها. فلم يجد أفضل من تعاليم الإسلام و ما جاء به مادة يستمد منها المعاني التي حاول من خلالها إثارة قريش ، وجلب انتباهها إلى الحالة الجديدة التي تحققت في ظل الإسلام.

فهو يلمح لقريش و من ساندتها في ضلالها ، في كل قصيدة إلى مقدار الخيبة التي هم فيها. فشتان ما بين حالتهم ، و حالة المسلمين بعد أن أسلموا وازدانت صدورهم بالإيمان . وهو يتضجر لما آل إليه حال المشركين و ما صاروا إليه بعد كفرهم ، وفي ذلك يقول:

عصيتم رسول الله أفّ لدينكم
وأمركم السيئ الذي كان غاويًا⁹²

وهو يعتمد إثارة نوازع الغيرة في نفوس قريش. فالمسلمون أقوياء مقتدرون ، وهذا أمر مؤكد لأن الرسول فيهم ، والآيات تنزل بينهم والمسلمون لهم الغلبة في معاركهم لأنهم يستمدون القوة والعزم من الله تعالى.⁹³

وعبدالله في المعركة شعلة متقدّة من الإيمان. فهو لا يسأل الله إلا المغفرة ، ولا يطلب منه إلا الشفاعة ، عند ذاك لا يأبه لنوع السلاح الذي يحمله الأعداء ، بل يتمنى أن يكون من النوع الشديد الفتك الذي يُسرّع به نحو الشهادة. وهو لا يغفل عن تصوير بعض لحظات التردد التي قد تساور الإنسان في المواقف الصعبة. ولكنه يتخطاها بإيمانه ، مصارعاً النفس ، راغماً إيّاها على الثبات بعد (أن أجلب الناس) مذكياً فيها روح المنافسة بعد أن سنحت له الفرصة في مؤتة ، فيقول:

أقسمت بأنفسي لتنزله

لتنزلن أولتكرهته

إن أجلب الناس وشدوا الرته

مالي أراك تكرهين الجنة

قد طالما كنت مطمئنة⁹⁴

وضمن لهذا الإدراك الواضح لأبعاد الشهادة. صوّر لنا من قبل استشهاد حمزة - في أحد - مصوراً ما

ينتظره حمزة من نعيم وما يسحظى به من ثواب وجزاء في جنات الخلد.⁹⁵

كما صوّر لنا فضل نافع بن بديل - شهيد بئر معونة - داعياً له بالرحمة الوارفة التي يسبغها الله تعالى على عباده المجاهدين.⁹⁶

وقد كان عبدالله حريصاً على التذرع بالصبر في رثائه للشهداء ، وتقويمه لشرف استشهداهم. غايته من ذلك تهدئة المشاعر ، وتقليل فداحة المصاب. لهذا تذرع به في معرض رثائه حمزة ، فقال:

ألا يا هاشم الأخيار صبراً
فكلّ فعالكم حسن جميل⁹⁷

وتمسك به لأنه يعلم طبيعة المهمات التي تواجه المسلمين. وعبدالله لا يوجّه للمسلمين مثل هذا الحديث دون أن يتخذ من الرسول الكريم نموذجاً للصبر والقدرة على التحمل ، فيذكّرهم وإيّاه بقوله:

رسولُ الله مُصْطَبِرٌ كريم
بأمر الله ينطق إذ يقول⁹⁸

وقد كان عبدالله صادقاً فيما قاله فقد صبر في جهاده حتى تحقق له ما كان يصبو إليه من مجد الحياة وخلود الآخرة.

هذا شعر عبدالله بن رواحة رضى الله عنه بجدثنا عن جوانب المختلفة ، ثم أثبت الدراسة أن للقرآن الكريم أثراً واضحاً في إذكاء جوانب الشعرية في شعره ، مما كان له دور بارز في تطور هذا الشعر. وقد تناولت الدراسة أثر القرآن الكريم في إيقاع شعر عبدالله ، فأثبت تأثره به في موضوعات متعددة ، منها ما كان على صعيد اللفظة وجرسها ، ومنها ما كان على صعيد الإيقاع ، ومنها ما كان على صعيد القافية. وقد اعتمدنا على القرآن الكريم وديوان عبدالله بن رواحة رضى الله عنه في إغناء دراسته بالنصوص القرآنية والشعرية ، فنعكس ذلك على إثبات النتائج التي توصلنا إليها دراسة.

الهوامش

1. انظر لترجمته في : الطبقات الكبير ، 3/ ق 2/ 79 ؛ المؤلف والمختلف ص 184 ؛ الاستيعاب ، ق 3/ 898 ؛ صفة الصفوة 1/ 192-191 ؛ أسد الغابة 3/ 235 ؛ الإصابة 4/ 66 ؛ شرح شواهد المغني ق 1/ 288-287 ؛ حسن الصحابة 1/ 35 (وقد جمع الدكتور حسن محمد باجودة ما تناثر من أخباره وأشعاره في دراسة بعنوان: ديوان عبدالله بن رواحة الأنصاري ، دراسة جمع. تحقيق)
2. الطبقات الكبير ، 3/ ق 2/ 79 ؛ ت هذيب ابن عساکر ؛ أسد الغابة
3. طبقات فحول الشعراء ص 186
4. المؤلف والمختلف ص 184
5. ديوان عبدالله بن رواحة ، ص 9
6. الطبقات الكبير ، 3/ ق 2/ 79 ؛ الاستيعاب ، ق 3/ 898 ؛ أسد الغابة 3/ 235 ؛ الإصابة 4/ 66 ؛ حسن الصحابة 1/ 35 ؛ الأعلام ، 4/ 217
7. الطبقات الكبير ، 3/ ق 2/ 79 ؛ الاستيعاب ، ق 3/ 898 ؛ أسد الغابة 3/ 235
8. الطبقات الكبير ، 3/ ق 2/ 79
9. شرح شواهد المغني ق 1/ 288
10. أسد الغابة 3/ 235
11. مسند الإمام أحمد ، 3/ 265
12. الإصابة 4/ 66

الاستيعاب ، ق 3/ 901-900	13
أسد الغابة 235/3	14
المصدر السابق نفسه	15
خَلَّى عن الأمر: تركه - ديوان عبدالله بن رواحة ، ص 102-101	16
المصدر السابق، ص 54-53	17
شرح شواهد المغني، ق 1/ 288	18
المصدر السابق، 289/1	19
السيرة النبوية ، ق 1/ 642	20
الإصابة، 66/4	21
أسماء المعتالين ، ص 229	22
مريم: 71	23
السيرة النبوية ، ق 2/ 373 ؛ تاريخ الطبري ، 3/ 37 ؛ حلية الأولياء ، 1/ 118	24
السيرة النبوية ، ق 2/ 374 ؛ ديوان عبدالله بن رواحة ، ص 88	25
آل عمران: 195	26
تاريخ مدينة دمشق مجلدة ، 1/ 396	27
تاريخ الطبري ، 3/ 37-38	28
ديوان عبدالله بن رواحة ، ص 58	29
الحساء: جمع حسى ، وهو ماء يغور في الرمل وإذا بحث عنه وجد.	30
ثوى بالمكان ثواء إذا أطال الإقامة به أو نزل فيه.	31
المغازي ؛ تاريخ الطبري ، 3/ 38-39	32
ديوان عبدالله بن رواحة ، ص 65	33
العرق: اللعظم الذي عليه بعض اللحم.	34
انت هش : أخذ منه لقمة يسرة.	35
الحطمة: زحام الناس ، وحطم بعض هم بعضاً	36
السيرة النبوية ، ق 2/ 379 ؛ تاريخ الطبري ، 3/ 40 ؛ الاستيعاب ، 3/ 900-899	37
أسد الغابة 238/3	38
أضب القوم: صاحوا وجلبوا وتكلموا متتابعاً.	39
طبقات فحول الشعراء ، 188-187 ؛ الإصابة، 4/ 67	40
شرح شواهد المغني، ق 1/ 293 ؛ الاستيعاب ، 3/ 900	41
ت هذيب ابن عساكر 7/ 390 ؛ ديوان عبدالله بن رواحة ، ص 46	42
الحجج 22: 39	43
شرح شواهد المغني، ق 1/ 289	44
الإصابة، 4/ 67	45
الاستيعاب ، 3/ 898	46
حسن الصحابة 1/ 36	47
ديوان عبدالله بن رواحة ، ص 43	48
الطبقات الكبير ، 3/ 80	49

المصدر السابق نفسه ، ديوان عبدالله بن رواحة ، ص 106-107	.50
ديوان عبدالله بن رواحة ، ص 88،80	.51
المصدر السابق ، ص 109	.52
المصدر السابق ، ص 95	.53
المصدر السابق ، ص 106	.54
المصدر السابق ، ص 94،95،96،97،98،101،109	.55
المصدر السابق ، ص 93	.56
المصدر السابق ، ص 95	.57
المصدر السابق ، ص 80،98	.58
المصدر السابق ، ص 96	.59
المصدر السابق ، ص 93	.60
المصدر السابق ، ص 95	.61
المصدر السابق ، ص 101	.62
المصدر السابق ، ص 107	.63
المصدر السابق ، ص 92	.64
المصدر السابق	.65
المصدر السابق ، ص 107	.66
المصدر السابق ، ص 108	.67
المصدر السابق ، ص 98،108	.68
المصدر السابق ، ص 98	.69
المصدر السابق ، ص 88	.70
المصدر السابق ، ص 101،107	.71
المصدر السابق ، ص 106	.72
المصدر السابق	.73
المصدر السابق	.74
المصدر السابق ، ص 87	.75
العنكبوت : 57 وينظر في ذلك أيضاً آل عمران: 185	.76
ديوان عبدالله بن رواحة ، ص 92	.77
آل عمران: 157 ، وينظر كذلك أيضاً النساء : 74	.78
ديوان عبدالله بن رواحة ، ص 93	.79
آل عمران: 160	.80
ديوان عبدالله بن رواحة ، ص 96	.81
المائدة: 96 ، وينظر في ذلك أيضاً المؤمنون: 79	.82
ديوان عبدالله بن رواحة ، ص 106	.83
الأنعام: 128 ، وينظر في ذلك أيضاً محمد: 12	.84
شرح شواهد المعني، ق 1/ 291-290	.85
ديوان عبدالله بن رواحة ، ص 107	.86

.87	المصدر السابق ، ص 106
.88	المصدر السابق ، ص 95
.89	المصدر السابق ، ص 102-101
.90	المصدر السابق ، ص 97
.91	المصدر السابق ، ص 94
.92	المصدر السابق ، ص 96
.93	المصدر السابق ، ص 105
.94	المصدر السابق ، ص 109
.95	المصدر السابق ، ص 93
.96	اجلب الناس: من الجلبة وهي اختلاط الصوت ، الرّنة: الصوت- المصدر السابق ، ص 98
.97	المصدر السابق ، ص 92
.98	المصدر السابق ، ص 68
.99	المصدر السابق نفسه.